

العتبات النصية في "رواية دمية النار" لبشير مفتي، دراسة تداولية.

Textual thresholds in "The Fire Doll" by Bashir Mufti, a pragmatic study.

*الأستاذ المشرف: الدكتور عباس حشاني.

*ط. د: شفيقة بوسبيح.

جامعة جيجل

جامعة جيجل

(الجزائر)

مخبر: الدراسات اللغوية التعليمية الأدبية الاجتماعية.

abbas.hachani@univ-jijel.dz

chafigha.bousbia@univ-jijel.dz

تاريخ القبول: 2024/12/05

تاريخ الاستلام: 2024/02/10

تاريخ النشر: 2024/12/10

ملخص:

تشكل الرواية محورا ثقافيا مهما من محاور الأدب المعاصر، يجسد من خلالها الروائي أفكاره، هواجسه، مكنوناته... في منظومة فنية جمالية، إلا أنها مؤخرا قد تجاوزت هذه الوظيفة لتضطلع بمهمة طرح قضايا فكرية وأيديولوجية تمر من خلالها مقاصد مرتبطة بالواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي، تعكس الآلام والأوجاع وتستشرف للطموح والآمال. يحاول هذا المقال أن يدرس العتبات النصية الروائية بوصفها خطابا تداوليا يسعى من خلاله المؤلف إلى القيام بدور الإفهام والتسهيل على متلقي الخطاب الولوج إلى خطابه، نحاول تقصي هذا الهدف التداولي في "رواية دمية النار" للمؤلف "مفتي بشير" والوقوف على الوظائف التداولية التي تطلع المؤلف إنجازها، حيث مهد الكاتب لنصه بالعديد من العتبات النصية، سنسلط الضوء على اثنتين منهما هما العنوان والمقدمة.

الكلمات المفتاحية:

تداولية، سياق، عتبات نصية، عنوان، مقدمة.

Abstract :

The novel is an important cultural axis of contemporary literature, through which the novelist embodies his ideas, obsessions, and components...in an aesthetic artistic system. However, it has recently gone beyond this function to undertake the task of presenting intellectual and ideological issues through which objectives related to social and political and cultural reality are transmitted. They reflect pain and suffering and anticipates ambition and hopes.

This article attempts to study narrative textual thresholds as a deliberative discourse through which the author seeks to play the role of understanding and facilitating access to his discourse for the recipient. We attempt to investigate this deliberative goal in the novel "The Doll of Fire" by the author "Mufti Bashir," and to identify the deliberative functions that the author aspired to accomplish, as he

put in his text many textual thresholds, we will highlight two of them, which are the title and the introduction.

key words:

Pragmatics, context, textual thresholds, title, introduction.

*شفيقة بوصبيع

تمهيد:

شهدت الدراسات اللسانية والأدبية المعاصرة اهتماما كبيرا بالعتبات النصية؛ يظهر ذلك في تنوع الأبحاث وتعددها، ذلك لأنها تعتبر بمثابة البوابة الرئيسية للدخول قرائيا إلى النص الروائي وإدراك مواطن الجمال فيه، يستخدمها القارئ لسبر أغوار النص العميقة قصد استنطاقها وتأويلها. وقد جاءت العتبات النصية عند "دومينيك موناخو" على أنها النص المصاحب للمتن، كونها الملفوظات التي تحيط بالنص¹.

أما عن وظيفة العتبات النصية فيمكن إدراجها في التأثير في المتلقي، ذلك لأن هذه العتبات أو ما يطلق عليه بالنص الموازي جعلت لإجلاء حضور النص وضمان هذا الحضور في العالم وتلقيه واستهلاكه. لوظيفة التأثير أهمية كبيرة في البحوث التداولية كونه. التأثير. أو الفعل التأثيري أحد أهم مكونات الفعل الكلامي، بل هو الغاية والهدف. فماذا نعني بالعتبات النصية؟ وكيف تجسدت في رواية دمية النار؟ وما الوظائف التداولية التي تطلع المؤلف "مفتي بشير" لإنجازها عبر هذه العتبات؟

هذا ما سنحاول تناوله في هذا المقال.

تلعب عتبات النص دور عتبات الدار فهي أول ما نمر به قبل الوصول إلى الداخل؛ وهي التي تتكفل بتقديم النص للقارئ دون سواها، وعليه تكمن أهميتها في كون قراءة المتن تصوير مشروطة بقراءة هذه النصوص، فكما أننا لا نلج فناء الدار قبل المرور بعتباته، فكذلك لا يمكننا الدخول في عالم المتن قبل المرور بعتباته، لأنها تقوم بنفس الوظيفة، والتي من شأنها أن تساعد في ضمان قراءة سليمة للكتاب، وفي غيابها قد تعطل قراءة المتن بعض التشويشات².

وعند البحث عن المفهوم اللغوي للفظ "عتبات" أو "العتبات النصية" نجد أن المعاجم اللغوية العربية تكاد تجمع على دلالة مادة "عَبَبَ" على وظيفة العتبات، فقد جاء في لسان العرب أن العتبة هي "أُسْكُفَةُ الباب التي توطأ"³، أي أن هذه الأسكفة تكون واسطة بين داخل الباب وخارجه. وهي عند التهانوي "قطعة الخشب التي تثبت في الباب ويمر الناس من فوقها"⁴.

الملاحظ أن كلا التعريفين يؤكد على وظيفة العتبة المتمثلة في إيصال الدّاخل بالخارج، وإذا ما أسقطنا هذا على النص فالعتبة النصية ما يوصل به بين داخل النص وخارجه.

أما عن المفهوم الاصطلاحي فقد جاء تعريف المناص أو العتبات عند "جيرار جينيت" في كتابه "عتبات" " بأنها كل ما يجعل من النص كتابا يقترح نفسه على قرائه أو بصفة عامة على جمهورهم، فهو أكثر من جدار ذي حدود متماسكة، نقصد بهم هنا تلك العتبة بتعبير - بورخيس - البهو الذي يسمح لكل من دخوله أو الرجوع منه، وهو البهو الذين نتحاور فيه مع المؤلف الحقيقي أو المتخيّل " ⁵.

بالنسبة لوظيفة النص المصاحب أو الموازي فإنّ "جون ديوي" يجعله لإجلاء حضور النص وضمان حضوره في العالم وتلقّيه واستهلاكه، ويبرز أنّ العناية بهذه الظاهرة مرتبط بتطوّر الآفاق التداولية في تحليل الخطاب التي تربط النص بسياقه التبليغي، حيث يوطّن حضوره عبر ارتباطه بهذا الإطار ⁶.

ويميّز الباحثون بين النص الموازي المؤلفي نسبة للمؤلف والنص الموازي المتعلّق بالناشر، وما يعنينا في هذه الدراسة هو الأول الذي هو من صنع المؤلف. العنوان، التصدير، التمهيد، الإهداء، والهوامش. ويقسم "جيرار جينيت" النص الموازي إلى ⁷:

1. النص الحافّ (peritexte): وهو النص المحيط الذي هو جزء النص المصاحب غير المنفصل عن النص (العنوان والفهرس الموضوعات ...).

2. النص الشارد (epitexte): على العكس ممّا تقدّم يتحرّك خارج النص، وقد يكون من صنع الناشر (الإشهار وقائمة المنشورات ...).

وعليه فالعتبات النصية نصوص محاذية للنص الأصلي، تتولى مهمّة الوصل والتقريب بين ما داخل النص وخارجه، تواجه القارئ وترسم لديه ملامح هويّة النص المركزي؛ فهي جزء مكمل للبناء النصي تساهم في إضاءة النص وتسهيل سير أغواره، كالعناوين ولوحة الغلاف، اسم المؤلف، التصدير، المقدمة، الفهرس، الإشهار ...

ونعني بالمقاربة التداولية تلك النظرية التقديرية التي تدرس الظواهر الأدبية والثقافية والفنية والجمالية في ضوء التداوليات اللسانية؛ فهي تُعنى بدراسة النص أو الخطاب في علاقته بالسياق التواصلي وتركز على المقصدية والوظيفية في النصوص والخطابات ⁸.

نشأت هذه المقاربة بامتزاج وتقاطع العديد من النظريات والاتجاهات التي تتفق جميعها في الطابع الاستعمالي للغة. ويعود استعمال مصطلح التداولية إلى الفيلسوف " تشارلز موريس " عندما قام بتحديد الإطار العام لعلم العلامات أو السيميائيات، من خلال تمييزه بين ثلاثة فروع وهي ⁹:

- الفرع الأول النحو أو التراكيب (Syntax): ويدرس العلاقة الشكليّة بين العلامات بعضها البعض.
- الفرع الثاني الدلالة (Semantic): وتدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تقول هذه العلامات.

• الفرع الثالث التداولية (Pragmatics): وهي دراسة علاقة العلامات بمستعملها ومؤوليها.

ثم بدأت تنحصر شيئاً فشيئاً إلى أن أصبحت النظرية التي تُعنى بدراسة اللغة باعتبارها مجموعة من الأفعال ينجزها المتخاطبون بالاعتماد على سياق الخطاب، حُصرت التداولية بعدها من طرف الهولندي هانسون (Hansson) في ثلاث درجات¹⁰:

• تداولية الدرجة الأولى: تضم مختلف نظريات التلغظ.

• تداولية الدرجة الثانية: تعنى بدراسة الأسلوب الذي يرتبط فيه القول بقضية مطروحة، حيث تكون هذه

الأخيرة متباعدة مع الجانبية للملفوظ، فهي تتناول قوانين الخطاب والظواهر الضمنية للغة.

• تداولية الدرجة الثالثة: وتتمثل في نظريات أفعال الكلام.

وتعد وظيفة التأثير من أهم الوظائف التي تنشأ لأجلها النصّ، ذلك لأن الرغبة في استمالة المتلقي وإقناعه بوجهة نظر الكاتب تمثّل غرضاً أولياً لديه، وإن صاحبها أهداف أخرى كالإخبار والإمتاع، وقد تولّت اللسانيات التداولية عبر نظرياتها: الإشارات، الاستلزام الحواري، أفعال الكلام، الحجاج، العناية بهذه المسألة متخذة من السياق حجر الزاوية لنجاح وظيفة التأثير في المتلقي وكذا تفسير وتأويل مراد الكاتب.

أما عن المدونة التي بين أيدينا فهي رواية " دمية التار " للكاتب والصّحفي الجزائري " بشير مفتي " التي صدرت لأول مرة عام 2010 عن الدّار العربيّة للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف، تحكي الرواية قصّة لقاء بين الرّوائي " بشير مفتي " بإحدى الشخصيات الغامضة والذي يسلمه بدوره مخطوطاً يروي فيه سيرته الذاتية إنّه " رضا شاوش " الذي يسعى جاهداً إلى أن لا يشبه والده الذي كان مديراً لإحدى السّجون بالسّبعينيات، ثم انتحر نهاية الثّمانينات من القرن العشرين، وفي سياق معالجة هذه المدونة أماناً العديد من العتبات التي يمكننا الوقوف عندها لكننا سنكتفي برصد اثنتين منها ومقارنتهما تداولياً، وهما عتبة العنوان وعتبة المقدمة.

أولاً: عتبة العنوان.

يُعدّ العنوان أول علامة لغويّة يوجّهها المرسل إلى متلقّي الخطاب؛ فهو بمثابة مدخل أساسي للولوج إلى أغوار النصّ.

وبتقنيننا للمعاني اللّغوية لكلمة عنوان نجد أنّها لا تخرج عن مادّي "عَنْ" و"عَنَّا" نجد ممّا جاء في لسان العرب في مادة " عَنْ " : "... عَنْ الشيء وعنناً وعنواً: ظهر أمامك، ويعن عنواناً: اعترض وعرض.." ¹¹، وتتراوح بين الدّلالات اللّغوية التي تحوي الكلمات (القصد والإرادة والظهور والاعتراض) ¹²، و(الوسم والأثر) كما جاء في قول ابن سيده (ت 1066 م) أنّ العنوان سَمَةُ الكتاب، كان ابن سيده يشير إلى أن اختصاص العنوان باللغة الكتابية لا

الشّفاهيّة، فهو يَسْمُ العمل ويعوّضه عن غياب السّياق المنطوق في الكلام الشّفهي، فالعنوان للكتاب كالاسم للشّيء به يُعرف وبفضله يُتداول، يُشار به إليه ويُدلّ به عليه، يحمل وَسمَ كتابه، وفي الوقت نفسه يسمّى العنوان علامة من الكتاب جعلت له كي تدل عليه¹³.

العملية التّواصلية والتّداولية والوظيفية للعنوان:

من خلال الاستعانة بالخطاطة التّواصلية لـ "ياكبسون" المتمثلة في (المرسِل، المرسل إليه، والرسالة) يمكن وضع خطاطة تواصلية عنوانيّة مُستوحاة من سابقتها تتكوّن من: المَعْنُون (المرسِل / الكاتب)، والمَعْنُون له (المرسل إليه / القارئ)، والعنوان (الرسالة)¹⁴.

1. المَعْنُون (المُرسل):

يرى "جيرار جينيت" أن الواضع للعنوان أو بأكثر دقة المرسِل للعنوان قانونيا هو الكاتب، كما يمكن وضع هذا العنوان بإيعازٍ من النّاشر أو المحيط التّألفي¹⁵.

أما عن الرواية التي بين أيدينا فهي للكاتب والصّحفي الجزائري "بشير مفتي" المولود بالجزائر العاصمة عام 1969 م، خَرِجَ كلية اللّغة والأدب العربي بجامعة الجزائر، عمل في الصّحافة، حيث كتب في نهاية ثمانينات القرن العشرين في عدّة جرائد كجريدة الحدث الجزائرية، كما عمل بالتلفزيون الجزائري كمُشرف على حصص ثقافية، ألّف العديد من المجموعات القصصية؛ كأقطار اللّيل، والظلّ والغيباب، شتاء لكلّ الأزمنة... بالإضافة إلى العديد من الروايات نذكر منها: المراسيم والجنائز، أرخبيل الدّباب، أشجار القيامة، دمية النار؛ وهي الرواية التي حاز من خلالها على جائزة بوكرو الأدبيّة عام 2012¹⁶.

الملاحظ أن خلفيّة الكاتب أو المَعْنُون حاضرة بكل تفاصيلها في متن الرواية، وإذا أنعمنا النّظر في السّياق الزمني لحياة المَعْنُون بداية من سبعينيات القرن الماضي إلى يومنا هذا وما شهدته الجزائر والشّعب الجزائري من سنوات مظلمة وحاولنا ربطه بدلالة العنوان "رواية دمية النار" الذي يوحي بمدى العبث الفظيع، وعدم الجرأة على مخالفة قانون الأمر الواقع الذي يقع تحت وطأته الضّعفاء، كيف يتحوّل الإنسان إلى شخص غير قادر على السّيطرة على نفسه، فشبهه بالدمية النّاقلة للشّر؛ نجد أنّ الكاتب قد أشار مرارا إلى هذه الحقبة في مطلع المقدّمة بقوله "... التقيت بطل هذه الرواية السيّد رضا شاوش وأنا في الرّابعة والعشرين من عمري، كنت حينها في عَرّ شبّابي واندفاعي للحياة، كان ذلك في أواخر شهر سبتمبر من عام 1985..."¹⁷.

يقول أيضا مُعرِّفا بالشّخصية التي يرتادها بطل الرواية العربي بن داود المسمّى عمي العربي: "... وسمعت عنه أنّه كان مجاهدا أيام الثّورة ومعارضاً بعد الاستقلال عاد لمهنته بعد نهاية السّبعينات ورحيل الرّئيس هواري بومدين..."¹⁸.

يقول أيضا على لسان بطل الرواية: "... كانت السبعينات تعني الكثير من الأشياء، الكثير من الأحلام، الكثير من الأوهام، والكثير من المخاوف ... " ¹⁹.

ويقول البطل على لسان شخصية الرجل السمين: "... الثورة ستقوم في هذه البلاد هم يعرفون ذلك بلا شك، حذرهم من التلاعب بالدين قلت لهم اتركوا هذا الأمر..." ²⁰.

وعليه فأحداث الخلفية الزمنية والمكانية لحياة المعنون "بشير مفتي" حاضرة بكل أحداثها في دلالة عنوانها.

2. المعنُون له (المُرسل إليه):

يرى عبد الحق بلعابد في شرحه لعبات جبرار جينيت أنّ الذي يُرسل إليه العنوان عموما هو الجمهور، لأنّ هذا المصطلح أوسع من مصطلح القراء ذلك أنّ العنوان يمكن أن يرنحل ويُداول على ألسنة أشخاص لم يقرأوا الكتاب ²¹.

يمكننا القول إنّ الجمهور الذي يخاطبه الكاتب بعنوانه في "رواية دمية النار" ربما هو كل من يقع نظره على العنوان واسم الكاتب معا، سواء كانوا من القراء الذين ارتادوا قراءة رواياته، أو محبي الروايات بصفة عامة، وكلّ من له اهتمام بعالم الكتب ومُرتادي المكتاب ومعارض الكتب في كل مكان، لكن إذا نظرنا إلى سياق إنتاج الرواية والأحداث التاريخية والسياسية المصاحبة له فإنّ الجمهور المتلقي لعنوان الرواية يمكن حصره في كل من يبحث عن حقيقة الأوضاع المزرية التي مرّت بها الجزائر منذ الاستقلال إلى ما استقرت عليه الأوضاع في ما بعد العشرية السوداء.

3. العنوان (الرسالة):

يقترح جبرار جينيت نموذجة بها أربعة وظائف للعنوان تتمثل في الوظيفة التعيينية والوظيفة الوصفية والوظيفة الإحالية ²² والوظيفة الإغرائية.

وقد عنون الكاتب روايته بـ "رواية دمية النار" وهو نصّ موازي وأوّل فعالية للتلقي، فهو رسالة لغوية تعرف وتسمّي وتعزّن هوية النصّ وجنسه وتحدّد مضمونه "رواية" معوّلا على الوظيفة التعيينية، كما أنّه يغري القارئ لتتبع دلالاته معوّلا على الوظيفة الإغرائية في تفاعله مع القارئ، والملاحظ أنّ الكاتب من خلال وضعه للعنوان عمل على تعميق علاقة القارئ بالنصّ؛ وكأنّ العنوان سابق على النصّ مشحون بمحولة دلالية لا تغني إلا بالنصّ في حدّ ذاته ²³، فقد جاء على لسان شخصية البطل الاعتراف التالي: "... صرْتُ الشرّ ودمية الشرّ، صرت الشيطان ودمية الشيطان، صرت تلك النار اللاهبة والمستعرة، النار الحارقة والمسعورة، صرت مثل دمية النار تحرق من يسكها..." ²⁴.

ثانيا: عتبة المقدمة.

إنّ الاستهلال عند جيران جينيت هو كلّ ذلك الفضاء من النصّ الافتتاحي والذي يُعنى بإنتاج خطاب بخصوص النصّ إن كان سابقاً له أو لاحقاً به، وتُعدُّ المقدّمة من الاستهلالات الأكثر دورانا واستعمالاً²⁵. يستهلُّ الكاتب روايته "دمية النار" بمقدمة عنوانها "الرّوائي" إذ يحضر الرّوائي أو شبيهه له اسمه "بشير مفتي" وقد كان كاتباً مدفوعاً بسحر جنوني إلى الكتابة، يقابل بطل روايته "رضا شاوش" ذلك الشّخص الغامض الذي يثير الحيرة والتساؤل، يقول الكاتب: "...التقيت بطل هذه الرواية السيّد رضا شاوش وأنا في الرّابعة والعشرين من عمري..."، "...تخلّته بطلاً تراجيدياً يصلح للموضوعات التي كنت أرغب في كتابتها..."²⁶، عندها قرّر الكاتب التّعرف على شخصيته وذلك بمطاردته لاكتشاف أسرارها، كان في كلّ مرة يلتقيه فيها يزداد هذا الشّغف ويتضاعف.

من خلال هذا التّقديم يجد القارئ نفسه نجماً مشدوداً نحو إكمال قراءة الرواية خاصة عندما أعلن الكاتب أنّ كلّ ما ورد فيها من كتابة البطل ذاته "رضا شاوش"، وأنّه غير مسؤول عمّا فيها من أحداث، والجميل في هذه الرواية أنّ البطل يتحوّل أيضاً إلى راوٍ؛ حيث قام "رضا شاوش" بالاستهلال لقصته التي سيرويها أيضاً بمقدمة، قدم فيها نفسه لبشير مفتي وللقراء جميعاً، ذكر فيها الأسباب التي دعت به إلى الكتابة. ليجد القارئ نفسه بين مقدمتين إحداها محتواة داخل الأخرى؛ الأولى لكاتب الرواية الأصلي "بشير مفتي"، أما الثّانية فهي لبطل الرواية المتخلّل "رضا شاوش"، الذي سعى جاهداً من خلال مقدّمته على تقوية أواصر التّفاعل بينه وبين القارئ، يَعدّد معه اتفاقاً يسحبه سحباً لا شعورياً لقراءة نصّه، ويجعل من لغته ذات فعل كلامي مُنجز ومؤثّر في نفس الوقت.

العملية التّواصلية التّداولية للمقدمة:

لاحظنا سابقاً أنّ لهذه الرواية مقدّمتين أو بالأحرى مقدمة محتواة داخل أخرى، يفتتح الكاتب مقدّمته بالحديث عن بدايته الأولى مع الكتابة وعن الشّخصيّة الغامضة التي التقى بها وتخلّله بطلاً تراجيدياً وقرّر مطاردتها وسبر أسرارها واكتشافها، كان قد تعرّف عليه في بيت عمّي العربي الذي كان يفتح بيته لجملة من المثقّفين والمناضلين اليساريّين الطّامحين إلى التّغيير يقول: "...عرفت رضا شاوش وقد تجاوزت الثلاثين بأربعة أو خمس سنوات، كان يبدو أكبر من سنّيه، دقيق الملامح... غير أنّ ما شدّني إليه لم يكن شكله ولا نظراته المرتابة من الآخرين ولا لأنّني لاحظت أنّه كان يطأطي رأسه باستمرار، ولأنّه كان يحبّ الكلام في الأدب كان ذلك هو الطّعم الذي حرّك فضوليّ أول الأمر، ثم شعرت بشيء قريب من الحسد إنّهُ سيفاجئني..."²⁷. يلتقي الكاتب بالبطل رضا شاوش ويحدّثه عن مخطوط له هو بصدد كتابته وأخبره أنّه سيرسل له المسودة وطلب منه الاطّلاع عليه ونشره، وأنّ ينسبّه لنفسه لأنّ ظروفه لا تسمح له بالنّشر حتى ولو كان ذلك باسم مستعار. تذكرنا مقدّمة هذه الرواية بالحيلة الفنّية التي سنّها رائد الرواية العربي

"محمد حسين هيكل" في روايته "هكذا خلقت"²⁸، إذ أعلن الكاتب في المقدمة عن استقباله مظلوماً فيه مخطوط سلمته له إحدى الفتيات زاعمه أنه لسيّدة كتبتّه، وأوصتها أن تسلّمه له لينشره أو يفعل به ما يشاء.

يقول الكاتب "بشير مفتي": "...راح يحدّثني عن مخطوط يكتبه، وهو رواية كما يظنّ أو سيرة خياليّة أو كما قال لا أدري ما هي.... لا أريد أن أعرف رأيك كل ما أريده هو أن تقرأه، ثم إن أردت أن تنسبه لنفسك فسأكون شاكراً لك على هذه الخدمة، فأنا لا أستطيع حتى نشره باسم مستعار..."²⁹. يقول الكاتب بشير مفتي: "...مضى على ذلك اللقاء عشر سنوات وانتهت الحرب أو توقّفت بزمان معين حينما حمل لي البريد ظرفاً بداخله مخطوط مع رسالة قصيرة جاء فيها جاء فيها..."³⁰، هنا يجد القارئ نفسه أمام رسالة من بطل الرواية "رضا شاوش" إلى الكاتب "بشير مفتي" هي بمثابة تقديم أو مقدمة لمحتوى المخطوط، استهلّها صاحبها بإخبار الكاتب باحتمال عدم وجوده في هذا العالم لحظة استلامه المخطوط لسبب أو لآخر مذكّراً إيّاه بوفائه للوعد الذي قطعه عليه وعلى نفسه بإرسال المخطوط، ثم أخذ يصف أو يعرف بمحتوى المخطوط وأنّ به سيرته أو تأريخ حياته التي اختلط فيها الحابل بالتّابل، ففيها من الغرابة والخيال والعجائب ما لا يصدق عقل بشري، فهي قصة خيية وجرح، يقول رضا شاوش: "...وربما الأسوأ من كل ذلك هو أنّها قصّتي بكلّ حروفها السّوداء وأبجديتها الحارقة... من خلال ما عشته لم أعد قادراً على التّفريق بين ما هو خيال وحقيقة..."³¹.

يعود بعدها الكاتب "بشير مفتي" إلى مقدمته ويبيدي إعجابه لما في المخطوط من غرابة وسحر ويظهر تحسّره على مسار هذا الرجل، ويعترف أمام القراء بسعادته لتمكّن رضا شاوش رغم ظروفه القاهرة من كتابة هذا المخطوط، ويتعهد للجميع بنشره دون زيادة أي حرف وأنّه كتب هذا التقديم فقط وأنّه سيترك رضا شاوش يحكي قصّته كما كتبها هو على لسانه³².

وظيفة المقدمة:

يرى عبد الرزاق بلال في كتابه مدخل إلى عتبات النص دراسات في مقدمات التّقد العربي القديم أنّ للمقدمة وظائف عديدة إلّا أنّ الوظيفة المركزيّة التي تطلّع بها هي ما اصطلح عليه باستراتيجيّة البوح والاعتراف، وتتمثّل في تنبيه القارئ وتوجيهه وإخباره بأصل الكتاب وظروفه ومراحل تأليفه ومقصد مؤلفه³³.

وبما أنّنا أمام مقدّمتين أو سيرتين ذاتيّتين فنحن أيضاً أمام بوحين واعترافين؛ الاعتراف الأوّل للرّوائي نفسه "بشير مفتي" الذي يبدو مختصّراً وإن كان مكثّفاً، حيث سرد فيه المؤلّف الإطار السّياقي الزماني والمكاني والتاريخي، وأعطى صورة واضحة لاهتماماته وخلفيته الفكرية وشغفه بالقراءة والكتابة، وأنّ شخصيّة "رضا شاوش" الغامضة قد أوقدت شعلته منذ التّقائه به ليُجعله بطل كتاباته.

لتأتي بعدها مقدّمة الاعتراف الثّاني على لسان البطل الروائي المتخيّل "رضا شاوش" على شكل رسالة قصيرة، والتي على الرغم من قصرها إلّا أنّها كمّيّة من البوح والاعتراف والسّحر والغربة ما يجعلها تسحب قارئها سحباً للولوج بلهفة إلى متن المخطوط. وقد نجح الرّوائي الأوّل في مقدمته في تحويل غموض شخصيّة البطل حتّى قبل بؤجه بهذه الرّسالة حتّى لا يجد القارئ بُدّاً من إتمام قراءة الرواية متّبعا القصد نفسه الذي رسمه الروائي "بشير مفتي" ألا وهو اكتشاف سرّ هذه الشّخصية. وقد تمكّن الرّوائي بشير مفتي من خلال هذه المقدمة من جعل القارئ يتبّع نفس مقصده بطريقة توحى له وكأنّ هذا من اختياره، وما إنّ يلج القارئ متن الرواية حتّى ينبهر بكميّة البوح وهول ما اعترف به بطل الرّواية في شجاعة منقطعة النّظير؛ من وشاية واغتصاب وقتل، والتي على الرّغم من سوداويّتها وفضاعتها، كان يصحبها تأنيب للضمير واعتراف بعدم القدرة على السّيطرة على النّفس، فالرّوائي المتخيّل "رضا شاوش" قد قام بسرد هذه الحقائق بطريقة تجعل قارئها في موقف المتعاطف معه، ولأنّ الرّوائي "بشير مفتي" أيضا كان حاضرا ليبرز له أفعاله بالإسهاب في شرح حالته وإعلان ندمه، وتحميل البيئة والمحيط مسؤوليّة أفعاله المشينة.

الخاتمة:

في ختام هذا المقال يمكننا القول: إنّ عتبي العنوان والمقدمة في "رواية دمية النار" للرّوائي الجزائري "بشير مفتي" قد قامت بدور التمهيد والتّسهيل على القارئ للولوج إلى المتن، وبالاغتماد عليهما وعلى سياق الإنتاج الذي يعدّ ركنا أساسيا في الدراسات التداوليّة يجد القارئ أنّ نصّ الرواية جليّ وحاضر مما يضمن له قراءة سلسلة عميقة. وقد أمكننا البحث من تسجيل بعض الملحوظات نوجزها فيما يلي:

- العتبات النّصية نصوص محاذية للنّص الأصلي، وهي جزء مكمل لبنائه، تساهم في إضاءته وتسهيل سبر أغواره.
- تكشف المقاربة التداوليّة عن أهم وظيفة تنشأ من أجلها الرّواية المعاصرة والمتمثّلة في التأثير في المتلقي قارئ الرواية واستمالته لتبني وجهة نظر الرّوائي بالإضافة إلى وظيفتي الإخبار والامتناع.

قائمة المراجع:

الكتب

1. ابن منظور محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر، (دط)، بيروت، لبنان، مج 1، مج 13، (دت).
2. بشير مفتي، رواية دمية النار، الدار العربية للعلوم ناشرون مع منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2010 م.
3. جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، شبكة الألوكة، ط 1، 2015 م.

4. دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 2008م.
5. عبد الحق بلعابد، عتبات جيزار جينيت من النص إلى المناص، تقديم: سعيد يقطين، الدار العربية للعلوم ناشرون مع منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008م.
6. عبد الرزاق بلال، مدخل إلى عتبات النص . دراسة في مقدمات النقد العربي القديم . دار افريقيا للنشر، المغرب، ط1، 2000 م.
7. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب . مقارنة لغوية تداولية . دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004 م.
8. عمر بلخير، مقالات في التداولية والخطاب، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2013 م.
9. محمد حسين هيكل، هكذا خلقت، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012 م.
10. محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1، 1996 م.
11. محمد فكري الجزار، العنوان وسموطينا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، القاهرة، 1998م.

المجلات

12. إبراهيم بن عبد الرحمن براهمي، عتبات النص في رواية الثلاث لمحمد البشير الإبراهيمي . دراسة تداولية . مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد الأول، يونيو 2013 م، ص29 . 45.
13. آمنة أمقران، تشكيل القارئ الضمني في رواية دمية النار، مجلة الأثر، عدد خاص، أشغال الملتقى الوطني الأول حول اللسانيات والرواية، يومي 22، 23 فيفري 2012 م، ص59 . 76.

المواقع الإلكترونية

14. بشير مفتي، ويكيبيديا الموسوعة الحرة،

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D8%B4%D9%8A%D8%B1_%D9%85%D9%81%D8%AA%D9%8A

اطلعت عليه 2024/02/09، الساعة 15:17.

- ¹ - ينظر: دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 2008م، ص 78.
- ² - عبد الرزاق بلال، مدخل إلى عتبات النص - دراسة في مقدمات النقد العربي القديم - دار افريقيا للنشر، المغرب، ط1، 2000 م، ص 23، 24.
- ³ - ابن منظور محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر، (دط)، بيروت، لبنان، مج 1، مادة " عتب "، (دت)، ص 576.
- ⁴ - محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، مكتبة لبنان ناشرون، ط 1، 1996 م، ص 1164.
- ⁵ - عبد الحق بلعابد، عتبات جبرار جينيت من النص إلى المناس، تقديم: سعيد يقطين، الدار العربية للعلوم ناشرون مع منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008 م، ص 44.
- ⁶ - ينظر: إبراهيم عبد الله الرحمن براهمي، عتبات النص في رواية الثلاثة لمحمد البشير الإبراهيمي، دراسة تداولية، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد الأول، يونيو 2013 م، ص 31.
- ⁷ - بلال عبد الرزاق، مدخل إلى عتبات النص دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، ص 30.
- ⁸ - جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، شبكة الألوكة، ط 1، 2015 م، ص 4.
- ⁹ - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب - مقارنة لغوية تداولية - دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004م، ص 21.
- ¹⁰ - ينظر: عمر بلخير، مقالات في التداولية والخطاب، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2013 م، ص 24.
- ¹¹ - ابن منظور محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، (دط)، مج 13، مادة "عنن"، (دت)، ص 290.
- ¹² - ينظر: نفسه.
- ¹³ - ينظر: محمد فكري الجزار، العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، القاهرة، 1998م، ص 15، 16، 17.
- ¹⁴ - ينظر: عبد الحق بلعابد، عتبات جبرار جينيت من النص إلى المناس، ص 85.
- ¹⁵ - ينظر: نفسه، ص 85.
- ¹⁶ - ينظر: بشير مفتي، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D8%B4%D9%8A%D8%B1_%D9%85%D9%81%D8%AA%D9%8A
- ¹⁷ - بشير مفتي، رواية دمية النار، الدار العربية للعلوم ناشرون مع منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010 م، ص 5.
- ¹⁸ - نفسه، ص 8.
- ¹⁹ - نفسه، ص 36.
- ²⁰ - بشير مفتي، رواية دمية النار، ص 137.
- ²¹ - ينظر: عبد الحق بلعابد، جبرار جينيت من النص إلى المناس، ص 87.
- ²² - ينظر: نفسه، ص 87، 88.
- ²³ - ينظر: آمنة أمقران، تشكيل القارئ الضمني في رواية دمية النار، مجلة الأثر، عدد خاص، أشغال الملتقى الوطني الأول حول اللسانيات والرواية، يومي 22، 23 فيفري 2012 م، ص 69.
- ²⁴ - بشير مفتي، رواية دمية النار، ص 119.

-
25. ينظر: عبد الحق بلعابد، جيرار جينيت من النص إلى المناس، ص 113.
26. بشير مفتي، رواية دمية النار، ص 5، 6.
27. نفسه، ص 6.
28. محمد حسين هيكل، هكذا خلقت، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2012 م، ص 7، 8.
29. بشير مفتي، رواية دمية النار، ص 19.
30. نفسه.
31. نفسه، ص 20.
32. ينظر: نفسه، ص 21.
33. ينظر: عبد الرزاق بلال، مدخل إلى عتبات النص دراسات في مقدمات النقد العربي القديم، ص 51.